

الأفكار القابلة للتنفيذ

دكتور حامد طاهر*

الأفكار القابلة للتنفيذ هي ذلك النوع من الأفكار التي تخرج من الرؤية المباشرة للواقع، وتنبع في نفس الوقت من الإحساس بمشكلاته من أجل تحسينه والارتقاء به . ومن خصائص هذه الأفكار أنها أولاً : تتميز بالوضوح ، وعدم الوقوع في فخ الغموض أو التناقض أو التحليق في المجردات . ثانياً : أنها تتميز بالبساطة وعدم التعقيد ، فهي سهلة جداً ولا تلجأ إلى الاستطراد أو التأويلات . ثالثاً أنها مباشرة وقريبة من الواقع، ترصده وتسعى لإعادة صياغته صياغة معقولة ومقبولة في نفس الوقت من المجتمع . وبالطبع لا يتصور لمثل هذه الأفكار أن تدخل في مبارزات جدلية مع الخصوم ، وإنما تتجه على نحو واضح وصريح لحل مشكلات واقعية وحياتية تعوق مسيرة الإنسان ، وتفسر نظام البيئة التي يعيش فيها .

قد ينظر بعض دارسي الفلسفة لهذه الأفكار بسبب طابعها العملي الواضح نظرة استخفاف ، لأنها لا يمكن تصنيفها في خانات الأساق

* أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ونائب رئيس جامعة القاهرة

الفكرية المتعارف عليها ، فلا هي تندرج تحت المذاهب التقليدية ولا تحت النظريات المستحدثة . وفي تصوري أن هذا الجانب لا يعيبها بل إنه يعتبر مصدر حيويتها التي تتفوق بها على الأفكار المجردة ، والنظريات والمذاهب الساكنة . وميزة هذه الأفكار أنها تعتمد في تجدها واستمرارها على ما يظهر أمامها من مشكلات الواقع والقضايا الحياتية للإنسان المعاصر . وهذان مصدران لا يتوقفان عن استثارة الأفكار وتخليقها . وذلك بخلاف المذاهب والنظريات التقليدية التي فقدت صلتها بالواقع ، وابتعدت كثيراً عن حياة الفرد وتطور الحياة . وهنا يظهر الفرق واضحاً بين المفكر الحديث المهتم بقضايا مجتمعه وذلك المفكر القديم الذي كان يطلق عليه أنه "يعيش في برج عاجي" أي غير متصل بالناس ولا متواصل معهم .

وبالنسبة لي ، يمكن أن أعترف بأنني أنفقت كثيراً من عمري في دراسة الفلسفة في تاريخها القديم ، وتتبع مسيرتها عبر العصور في شكل مذاهب كبرى ، ونظريات متوالدة منها . وكثيراً ما كنت أطرح على أساتذتي وزملائي ثم على نفسي بعد ذلك السؤال التالي : ما الذي يمكن أن نستفيده من تلك الفلسفة ؟ صحيح أنني وجدت جزءاً من الإجابة في المذهب النفعي Pragmatisme ، لكن النفعية هنا ضيقة الأفق ، فهي تهدف إلى تحقيق مصلحة فرد أو مجتمع ما ، ولا تأبه لمصلحة باقى المجتمعات ، بل إن هذا المذهب ينتهى بفكر ينتهى بتكريس نوع من العصبية المتعالية التي يخرج منها شعار مثل (أنا وبعدي الطوفان !) .

وذلك كله يتعارض مع طبيعة الأفكار التى نتحدث عنها ، وهى التى تحاول الارتقاء بواقع الإنسان فى مجتمعه ، كما فى سائر المجتمعات الأخرى. ولهذا فإنها تقوم على المقارنات . والمقارنة فى حد ذاتها تهدف إلى المساواة بين طرفين أو جاتيين يتميز أحدهما عن الآخر . كما تؤمن هذه الأفكار بكرامة الإنسان وأحقّيته بالتالى فى حياة كريمة ، تتوافر له فيها المتطلبات المادية ، إلى جانب إشباع أشواقه الروحية . من أجل ذلك خصصت الجزء الأخير من حياتى لهذه الأفكار، التى سبق أن مهدت لها بنشر (فكرة المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة) والتى طبقتها على بعض مسائل علم الكلام ، وكان لها صداها الإيجابى فى نفوس طلاب الدراسات العليا بجامعة القاهرة ، وكذلك فى بعض المنتديات التى دعيت إليها خارج مصر . وتقوم هذه الفكرة على أساس أن أى مشكلة تعتبر حقيقية إذا كانت تمثل عقبة أمام السلوك الإنسانى أو الفكر الإنسانى ، وأن أى مشكلة لا تكون كذلك فهى مشكلة زائفة . وقد وجدت أن كثيراً من المشكلات التى شغلت فكرنا القديم ، ومازالت تشغل مجتمعاتنا العربية المعاصرة ، إنما هى مشكلات زائفة ، وعلامتها أن المجتمع يظل منشغلاً بها لفترة ، ويبدل فى سبيل حلها جهداً ضخماً ، ثم يفاجأ بأنه كان يعالج مشكلة وهمية لا أساس لها ، فى حين أن المشكلات الحقيقية مازالت كما هى فى حياته : موجودة ومستمرة ومتفاقمة . وهذا هو السبب الذى يغفل عنه الكثير من المفكرين العرب حين يصطدمون بحقيقة أن النهضة فى بلادهم مضى عليها حتى اليوم أكثر من مائتى عام ، ومازال العالم العربى

يعانى من مشكلات الأمية وزيادة النسل وضعف الإنتاج ، والتخلف عن ركب العلم والتكنولوجيا ، إلى جانب ما يعانيه من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية .

إننا نقرأ أحياناً عن حلول عجيبة لمشكلات زائفة ، ومع ذلك فإن المجتمع يتقبلها دون أن يوجه لأصحابها أى نقد ، وخاصة فيما يتعلق بطرق تنفيذها . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ينشر أحياناً عن نقل عاصمة مصر بعد أن تفاقمت مشكلات العاصمة الحالية . وبدلاً من أن يتجه المفكرون إلى حل هذه المشكلات ، واحدة واحدة ، فإنهم يعلنون بكل بسطة إنشاء عاصمة أخرى ، متجاهلين أن تلك العاصمة (المقترحة) يمكن أن تعاني بعد فترة من نفس مشكلات العاصمة القديمة ، طالما أهمل القائمون عليها مشكلاتها .

من هنا بدأت أتجه وأدعو إلى أهمية الأفكار القابلة للتنفيذ ، أى التى يمكن أن تتحول حلولها النظرية بسهولة إلى الواقع العملى مع الأخذ فى الاعتبار أن تنفيذ أى فكرة أو حل يتطلب ثلاثة عناصر متتالية هى : الرغبة والإرادة والتخطيط ، وكلها كما هو واضح أمور بشرية خالصة ، تتوقف على مدى كفاءة الإنسان واستعداده لعمل مشروع ، أو تنفيذ فكرة .

وحقيقة الأمر أن المجتمعات المتقدمة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا من خلال بحث أسباب التقدم ومعوقات النهضة فيها ، ثم وضع الحلول المناسبة لها ، وتنفيذ هذه الحلول على أرض الواقع . ومهما كان العمل

ضحماً فإنه يتكون فى البداية من أجزاء ، والأجزاء تنحل إلى جزيئات . وعندما تتحدد كل منها ، ويخصص لكل منها الأشخاص المأهلون فإنها تتكامل فيما بينها ، وتتطور ويرتفع بناؤها بحيث نراه فى نهاية الأمر عمل أمة وإنجاز شعب بأكمله . إن الهرم الأكبر المنسوب إلى خوفو لم يكن سوى مجموع عمل مئات الألوف من الأفراد ، الذين تنوعت جهودهم العضلية والذهنية والابتكارية ، لكنها تكاثفت كلها من أجل إنجاز هذا العمل المدهش الكبير .

وفى ختام هذا الجانب النظرى عن الأفكار لقابلة للتنفيذ ، الذى أرجو ألا يكون قد طال أكثر مما هو محدد له ، سوف يكون من المفيد أن أقدم فيما يلى عددا لا بأس به من تلك الأفكار القابلة للتنفيذ ، والتي نبعت من واقع المجتمع المصرى ، فى مرحلة هامة من مراحل تطوره .

1- مشروع المليار نخلة

هو المشروع الذى لا يتطلب من كل محافظة فى مصر سوى أن تقوم بغرس أشجار النخيل على حواف ترعها ومصارفها ، وعلى شواطئ النيل فيها . وقد قدر أحد الخبراء أن عدد النخيل المزروع يمكن أن يصل إلى مليار نخلة من أسوان حتى الإسكندرية ودمياط . ومن المؤكد أن الفوائد التى يمكن الحصول عليها من النخلة متعددة ، وإمكانيات الصناعات القائمة عليها واعدة ، كما أن العناية بها لا تكلف شيئاً على الإطلاق .

2- مشروع التلفزيون التعليمى .

هل يريد المجتمع المصرى القضاء على مصيبة الدروس الخصوصية ؟ الحل فى إنشاء تلفزيون تعليمى بالكامل ، تخصص له خمس قنوات : واحد للحضانات ، وثانية للابتدائى ، وثالثة للإعدادى ، ورابعة للثانوى ، والخامسة للجامعة . وتظل هذه القنوات على مدى ساعات النهار وجزء من الليل فى بث برامجها التعليمية ومراجعاتها التوضيحية بواسطة مدرسين وأساتذة يمكن أن يتفرغوا لهذا العمل . وأحسب أن اليابان لديها شئ من ذلك .

3- مشروع السنابل .

وهو يقوم على أساس أن يتكفل كل إنسان قادراً مالياً بنفقات الدراسة الجامعية لأحد الطلاب أو الطالبات منذ دخوله الجامعة إلى حين تخرجه على أن توافيه الكلية بنتائج الطالب ومسيرته الدراسية ، ويمكنه فى أحوال خاصة أن يلتقى به . إن المبلغ المقدر لذلك لا يزيد عن ألف جنيه فى العام لكل طالب . ولو تصورنا أن شخصاً يخرج زكاته بمقدار خمسة آلاف جنيه ، فإنها يمكن أن تساعد خمسة طلاب جامعيين ، وتسهم بذلك فى تأكيد مبدأ التضامن الحميد فى المجتمع .

4- مشروع المطبات الصناعية :

المقصود بذلك وضع مقاييس عامة لصنع أى مطب صناعى وكذلك تحديد مكان وضعه من جانب إدارات المرور ، وعدم ترك هذا العمل الخطير للمواطنين ، يقوم كل منهم بصنعه كيفما اتفق ، وفى أى مكان من الطريق .

5- حى مخصص للسفارات

فى الظروف الحالية التى يعيشها العالم ، ونظراً لاحتمالات وقوع الأعمال الإرهابية فى أى مكان ، أوصى بتخصيص حى للسفارات الأجنبية ، وكذلك لسكنى العاملين فيها ، مع تشديد المراقبة الأمنية عليهم ، حتى لا تتعرض منشأتها للتدمير ، وأفرادها للاعتداء أو الاختطاف ، وخاصة فى وسط العاصمة المزدهمة بالناس والسيارات .

6- ألغامهم وحقوقنا .

أثناء الحرب العالمية الثانية ، التى لم تكن مصر طرفاً فيها ، زرع الخصمان المتحاربان فى صحرائنا الغربية وعلى الساحل الشمالى عشرات الملايين من الألغام ، وتشير الإحصائيات إلى وجود 22 مليون لغم منها ، ما زال قابلاً للانفجار ! لماذا لا نطالب الدول التى زرعت تلك الألغام بإزالتها أولاً ، ثم بتعويضنا عن عدم استخدام الأرض المعرضة لها والتى تبلغ مليون ونصف مليون فدان ؟ !

7- إنشاء أكاديمية للمرور :

لن يحترم المواطن قوانين المرور بدون رجال مرور مؤهلين جيداً
لكي يحاسبوه على الأخطاء التي يرتكبها في حق الطريق ، والتبى يضيع
بسببها آلاف الأرواح في كل عام . ولكي نضمن تأهيل هؤلاء لابد من إنشاء
أكاديمية خاصة بهم ، تعلمهم بعد الثانوية العامة قوانين المرور وطرق
تسييره ، كما تزودهم ببعض اللغات الأجنبية لكي يتعاملوا بها مع السياح .

8- مشروع القطار العربى :

لماذا لا ينشأ قطار عربى يتم تسييره من المغرب حتى الكويت ؟ وما
الذى يمنع من تعطيل هذا المشروع الذى هو أساس الوحدة الاقتصادية ،
وما يتلوها من تقارب اجتماعى وثقافى بين الدول العربية التى تمتد من
المحيط الأطلسى حتى الخليج العربى ؟

9- معهد للتحاور الدولى :

هل نحن مؤهلين للحوار مع الغرب ؟ كيف ؟ وبأى الوسائل ؟ وما
هى طريقة التفكير التى ينبغى إتباعها عندما نتحاور مع الآخرين ؟ وكيف
يمكن إعداد مجموعات من الأشخاص القادرين على إدارة الحوار ، والتفوق
فيه ؟ المسألة حتى الآن خاضعة للصدفة ، ولا تتبع أى منهج علمى . وفى
مثل هذا المعهد يمكن تقديم كل ذلك بصورة منهجية ومثمرة .

10- جامعة للتميز العلمى :

جامعاتنا العريقة قدمت للمجتمع المصرى والمجتمعات العربية الشقيقة آلاف الكوادر والشخصيات التى قامت على أكتافها النهضة المعاصرة . لكن الزمن يتقدم ، والقديم يحتاج إلى تحديث . والعلم والتكنولوجيا يسرعان الخطى على نحو يفوق الخيال . ومن الضروري إنشاء جامعة نضع فيها كل إمكانيات التميز لكى يتكون فيها عدد من الخريجين يستطيعون أن ينافسوا زملاءهم من مختلف بلاد العالم المتقدم .

11- فن السباكة :

لا يكاد يرتفع مبنى فى مصر حتى تظهر على جوانبه بقع سرطانية بسبب الإهمال فى مواسير الصرف الصحى به . وبالطبع مازال الأمر منوطاً بالعامل المصرى الذى لم تتطور قدراته ولا مهاراته ، وانعزل طويلاً عن التطور العالمى فى هذا المجال . نحن بحاجة إلى إرسال عمالنا ليتعلموا فن السباكة من البلاد التى لا توجد فيها تلك المشكلة .

12- وزارة لتنمية الصعيد :

ظل صعيد مصر محروماً من كثير من الخدمات التى قدمتها الحكومات المتعاقبة لوجه بحرى . وأعتقد أن من حقه الآن ، وليس بعد ذلك ، أن تخصص وزارة لإجراء وتسهيل عمليات التنمية فيه ، وأن تحل

هذه الوزارة بمجرد تحقيقها هذا الهدف . المحافظون وحدهم لا يكفون لمثل هذا العمل الذى ينبغى أن يعم جميع مدن وقرى الصعيد ، وليس محافظة واحدة فقط !

13- تطوير كليات التربية :

أهم كليات الجامعة فى رأى هى 'كليات التربية لأنها هى التى تخرج المعلمين والمدرسين الذين يشكلون عقلية الجيل الجديد . وقد كثرت هذه الكليات وأصبحت تضم مئات الآلاف ، ويتخرج منها أعداد كبيرة فى كل عام، ولكنها غشاء كثفاء السيل . وبسبب ضعفهم لجأ التلاميذ إلى الدروس الخصوصية ، وتدهورت حالة المدرس . المشكلة أنهم يدرسون فيها المواد التربوية بنسبة 75% ، بينما لا يبقى لمواد التخصص سوى 25% . الإصلاح يقتضى العكس تماماً .

14- السياسة فى خدمة الاقتصاد :

هذا هو المبدأ الذى تسير عليه الدول المتقدمة بدون استثناء ، وحتى الصين جعلته أخيراً منهجها الذى حقق لها تلك الطفرة الاقتصادية الهائلة التى تخطف أبصار العالم كله . أما نحن فى العالم العربى فقد فقدنا الكثير بسبب عكس هذا شعار ، وجعل الاقتصاد فى خدمة السياسة . وقد آن الأوان لإعادة التفكير فى ذلك .

15- الشعوب السياحية :

كما توجد معالم سياحية ، لابد لأن توجد حولها شعوب سياحية ، تحترم تلك المعالم ، وتحافظ عليها ، وتسهل الطريق إليها ، وتحسن استقبال زائريها من كل أنحاء العالم ، حتى يكونوا هم أفضل دعاية لها ، وربما أعادوا الزيارة لها مرة بل و مرات . أما أن نقصر إقامة السياح على فنادق الدرجة الأولى وحدها ، ونهمل التخاطب مع السياح بلغتهم ، ونظل نلح عليهم حتى يشتروا بضائعنا ، أو يمنحوا المتسولين بعض النقود ، فهذه كلها أمور طاردة للسياحة ، التي لو أحسن استغلالها لأصبحت من أهم الموارد الوطنية وأكثرها ازدهاراً .

16 - محلات الخبز :

لماذا لا تخصص محلات لبيع الخبز ، وأن نعيد تلك المحلات التي كانت موجودة في الأربعينات وما قبلها . إن هذه العمل يمكن أن يتم بمنتهى البساطة وذلك أن نفرض على أى صاحب عقار يريد إنشاءه أن يخصص محلاً لبيع الخبز ، وله الحق في بيعه أو تأجيره بعد ذلك لمن يشاء ، بشرط أن يظل مقصوراً على هذا النشاط . إننا بذلك نحمل رغبة الخبز من جراثيم أرض الرصيف ، وعادم السيارات . وكلاهما مهلكة للصحة ، وللحياة .

17- الكتاب كهديّة :

تكاد تنحصر هداياتنا فى العالم العربى على المشغولات الذهبية تليها الورود لطبقة النخبة ، أما عامة الشعب فيتهادون بالحلويات والشيكولاته . وهى مضرة بالصحة كما نعلم . ومن العجيب أننا قلدنا الغرب فى أمور كثيرة ، ولم نأخذ عنه التهادى بالكتب ، وخاصة لإسان مريض ، وكثيراً ما نملاً حجرته بالورود التى ما تلبث أن تذبل ، ولو قدمنا له بدلاً من ذلك كتاباً مفيداً أو مسلياً كان عملاً حضارياً أجمل وأبقى . .

18- المتنزهات العامة :

هى الحدائق الواسعة التى يجد الإنسان من وقت لآخر رغبة فى الذهاب إليها ، ليمتع بصره بالخضرة ، وأنفه برائحة الزهور ، ويستمتع إلى أصوات الطيور ، ويتقابل مع الطبيعة الجميلة فى لحظة ينسى فيها همومه ، ويغسل أحزان صدره ، لكى يعود بعدها إلى عمله وهو أوفر نشاطاً ، وأكثر حيوية . وإذا سألت : كم من تلك المتنزهات عندنا فى القاهرة الكبرى لما وجدت سوى حديقة الحيوان المسكينة ، والقناطر الخيرية التى اختفت الخضرة من فوق أرضها ، على الرغم من وجودها على شاطئ النيل ؟

19- حجز الجثمان :

من أسوأ ما تمخضت عنه المعاملة مع المستشفيات الاستثمارية - وهى التى تهدف عندنا إلى الربح الوفير من علاج أغنياء المرضى دون

فقرائهم - أنهم يحجزون جثة المتوفى عند عدم سداد باقى فاتورة علاجه .
ولست أدرى كيف أصف هذا العمل ، الذى لا يوجد مثيل له حتى فى أسوأ
الغابات . بالطبع توجد حلول أخرى لسداد الفاتورة : من أموال الزكاة ، أو
تبرعات بعض أهل الخير ، أو أرباح المؤسسات . . أو تنازل المستشفى
عن حقها مادام مريضها قد توفى فيها !!

20- جوائز بدون إعلان :

أتمنى أن تنشأ فى مصر مثل تلك الجوائز الأدبية والثقافية التى
يفاجأ من يستحقها بحصوله عليها دون أن يكون قد قدم لها إنتاجه ، ثم راح
يسعى ويستشفع لجان التحكيم لى تمنحه الجائزة دون سواه . هذا
الموضوع له نموذج جيد فى فرنسا ، والفرحة بحصول الأديب عليها أفضل
بكثير من فرحة من سعى لها بمختلف الأساليب التى أصبحنا نعرفها جيداً .

21- رش الشوارع بمياه الشرب :

لم أر بلداً فى العالم يقوم بتكرير مياه النيل بها ، ويدفعها فى
المواسير لى يستخدمها المواطنون فى الشرب وخلافه ، ثم يأتى أصحاب
المقاهى والمحلات فيستخدمون هذا الماء المكرر لرش الشوارع ، وإخماد
التراب المتراكم فيها ، وذلك بدلاً من أن يقوموا - لمرة واحدة - بإزالة ذلك
التراب نفسه من شوارعهم ، وأمام مقاهيهم ومحلاتهم !!

22- رياضة المشاهدة والممارسة :

الأصل فى الرياضة أن تكون للجميع ، يمارسها كل أفراد المجتمع من الصبية حتى كبار الشيوخ . لكنها تحتاج إلى أندية ، وساحات ، ومشايات ، وأرصقة . وكل ذلك غير متوافر حتى الآن . والمصيبة أن الشعب المصرى كله ، وكذلك العربى أيضاً ، يكتفى بمتابعة الرياضة من خلال شاشات التلفزيون ، ويظن أنه بذلك شعب رياضى !